

## ١١ - تحولات يوسف إدريس

لم يجد البقاد المحدثون أقوى ولا أوضح من عبارة " لو كاتش " الشهيرة ، لتحديد الجذر الأساسى لفن القصة ، باعتباره " رواية عمليات التحول " مهما تعدد بعد ذلك مسار التحليل لوحداث القص ، وتصور أبنيتها المتشابكة ، ووظائفها المختلفة ، وعلاقتها الحميمة بمستويات السياق الشخصى والاجتماعى ، فى إطار مفهوم النص وأطرافه الداخلة فى عمليات التوصيل الجمالى . وسواء ظل هذا التصور " كتابيا " ينبسط فى كلمات منشورة ، أم اتخذ شكلا بصريا يتذرع بالخطوط البيانية والأنماط الهندسية ، فيلقى فى روع بعض القراء أنه هجر لغة الأدب وارتمى فى حضن إشارات الرياضة ، مما قد ينتهى به إلى التعمية بدلا من التوضيح ، ويصرفه عن متابعة التحليل والتأويل .. ومجموعة يوسف إدريس الجديدة " العتب على النظر " تقدم لنا نموذجاً شيقاً وناضجاً لتكويناته القصصية المدورة ، التى يدهشنا دائما باكتمال تخليقها ، وقماسك منظوماتها ، وطرافة منافذها ، وقدرتها على تجديد وعينا بالحياة ، عندما تخرقها بذكاء ، وتعثر على الإيقاع اللغوى المعادل ، بل المؤدى ، لعالمها الخاص ، كما تتجلى فيها إمكاناته الإبداعية فى التقاط اللحظات الفائقة والكشف عن جوهرها بتركيز الضوء على : مفاصل حركتها ، مما يجعلها من أكثر التكوينات الفنية إشارة إلى " حالات التحول " فى مستواها الداخلى ، عندما تتوافق مع الظواهر الخارجية ، وتحكم اتجاهها . ولعل هذه القدرة الفذة ، على وجه التحديد ، هى سر فن القص عند يوسف إدريس الذى ضمن له البقاء والنماء ، بالرغم من إهماله ، وتشتته واستنفاد طاقته فى مسارب خلفية مدمرة .

وعندما نتتبع بالتفصيل الأفاصيل الست التى تضمنتها هذه المجموعة ندرك للوهلة الأولى توزعها بين هذين الطرفين المتناقضين ، فهى أعمال تجلو لحظات مفصلية حادة تكشف عن عمليات التحول ذات البعد الكونى ، مما يحقق فيها جوهر الفن الأصيل ، ولكنها لاتخلو من الصدا المتراكم نتيجة عوامل الإهمال والتعربة ، مما يجعل لها " صريرا " مزعجا لدى المتلقى المدرب .

ولنبداً بالقصة الأولى ، التى تعطى للمجموعة عنوانها " العتب على النظر " ، وهى